سركيس : الانحياز للانعزاليين

سركيس

ماذا قدم للبنانيين في سنتين؟

اذا كان النهج العلمي في التحليل التاريخي ينفي وجود الادوار الشخصية او غير الشخصية ، المجردة عن الواقع والمعلقة في الهواء بعيدا عن مصالح الطبقات الاجتماعية واهدافها ، فهو لا ينكر ان الاشخاص ، بكل ما يميزهم ، يلعبون الدور في خدمة طبقة اجتماعية محددة ، تمر بسياق تاريخي محدد ، مما يعني انهم مؤهلون للعب هذا الدور وقادرون على فهم وتحديد ما هو مطلوب .

لذا فان فهم العملية التي تدور يعني فهم العلاقة والتفاعل الجدليين بين الظروف التاريخية المحددة التي تمر بها الطبقة في مختلف المجالات وبالتالي الاهداف المحددة المطلوبة وبين فهم واستيعاب الشخص الممثل للمطلوب منه وتنفيذه لذلك .

وسركيس الذي لم يدخل حلبة الصراع الدائر في لبنان استنادا الى قوة حزبه وميليشياته ، ولا اعتمادا على شعبية جماهيرية يتزعمها ، اتى يوم اضطر « البعض » الى الدخول في معركه برلمانية حول تعديل الدستور وانتخاب بديل لفرنجية ، ليمثل مصالح طبقه حددها هو في اول خطاب بعد تسلمه الحكم حين تحدث عن « زيادة دور المصارف في الاقتصاد » .

واليوم بعد انقضاء سنتين على تسلمه السلطة ، سنحاول ان نلقي ضوءا على الخطوط الاساسية التي طبعت وتطبع حكمه .

■ الانحياز المفضوح لطروحات ومواقف الجبهة الانعزالية

ان الذين اطلقوا على سركيس لقب « الشهابي » تناسوا ان الظروف تبدلت من عام ١٩٥٨ الى يومنا هذا وعلى مختلف الصعد المحلية والعربية والعالمية حتى غدت شيئا مختلفا تماما عن ظروف « الشهابيه » وظروف قدومها . ان النمو الذي شهدته الاحزاب الانعزالية قبل وخلال حرب السنتين يرجع في جزء اساسي منه الى ما وفرته لها الرئاسه الاولى في لبنان باختلاف رموزها من دعم وتاييد . ولم يكن سركيس ليملك ان يحيد عن خط من سبقه في تقديم العون والامداد للانعزاليين ، وقد تمثل هذا الدعم في اعادة المؤسسات القديمة ونبش مقابر « المكتب الثاني » والضباط المعروفين بتعاملهم مع المخابرات الاميركية وعدائهم لكل ما هو وطني وتقدمي ، واعادة بناء الجيش على اسس طائفيه حددتها ووافقت عليها الجبهة الانعزالية والسكوت والمساهمة في تقسيم المؤسسات وجعلها تحت سيطرة الادارة الكتائبية . ولا يتوقف الدعم عند حدود « السرية » بل يتخطاه الى مواقف سياسية علنية كمجاراة سركيس لموقف الانعزاليين في عدم التجديد لقوة الردع وتاخيره الطلب الى جامعة الدول العربية حول هذا الموضوع ، وتبنيه لوجهة نظرهم بالتلويح بالتقسيم وطرحه للنقاش داخل مجلس الوزراء وانسجامه التام هو والوزير بطرس مع التصور الفاشي لدور الجيش واجهة القمع ، وتحميله المسؤولية - في الرسالة التي وجهها بعد عودته عن الاستقالة - في عدم استقرار الامن وعودة الهدوء ، للمقاومة الفلسطينية وتبريره للتسليح الفاشي بانه نتيجة للتواجد الفلسطيني والوطني المسلح .

■ توجيه الاقتصاد نحو ارتباط اقوى بالخارج

لقد كان سركيس قبل توليه الرئاسة حاكما لمصرف لبنان المركزي ، لذا كان حريصا بحكم ميوله وخبرته ، الى زيادة دور المؤسسات المصرفية وحجم تدخلها في رسم السياسة الاقتصادية للبلاد ، وبدا بسلسلة من القروض والاكتتابات لم تنته حتى الان ، كان اخرها القرض الذي قدمه ٣٥ مصرفا اجنبيا ولبنانيا الى مجلس الانماء والاعمار وبلغت قيمته ١٥٠ مليون ليرة بنسبه فائدة تفوق النسب المتعارف عليها (بلغت الزيادة في الفائدة ١/٤ ١ بالمئة) .

واغلبية القروض التي حصلت عليها الدوله من المصارف كانت تستثمر في اعادة احياء المؤسسات السياحيه « لتعويضها عما فقدته خلال الحرب » مما يعني عودة نظام الخدمات واعادة ربط بناء الاقتصاد اللبناني - رغم تبعيته في الاساس - بالمؤسسات والشركات الاجنبيه والاميركيه خاصة ، مما يعني مزيدا من « الحياد » تجاه الصراع العربي - الصهيوني ، وضمان مناخ ملائم لنمو الرساميل والاستثمارات الاجنبية .

وبدلا من ان تنصب الجهود لدعم الاقتصاد الوطني المستقل ، هدف سركيس الى اعادة دور لبنان القديم كمحطة خدماتيه وسيطية ، فحارب الزراعة التي يشتغل فيها اكثر من ٦٠ بالمئة من اليد العامله اللبنانية وكسدت مواسم التبغ ، المحصول الرئيسي في الجنوب مما دفع اعدادا كبيرة من الفلاحين الى طرق باب العمل في مجالات اخرى .

واستمرت موجة الغلاء تتفاقم رغم الوعود بضبط الاسعار وانشاء اللجان الوهمية للمكافحة ، وفتح الباب واسعا امام الاستيراد مما ساهم في ضرب المشاريع الصناعية الصغيرة التي لا تستطيع ان تنافس الانتاج الاجنبي جودة ووفرة . واستمر التضخم في الازدياد مما جعل الحد الادنى للاجور لا يكفي حتى لتأمين الحاجات الضرورية من غذاء وملابس . هذا اضافة الى الارتفاع الهائل في الايجارات الذي جاء قانونها الاخير ليضفي شرعية رسمية على هذا الارتفاع ويثبته .

وكون الاهتمام الرئيسي انصب على اعطاء المؤسسات المالية دورا مسيطرا مع الحياة الاقتصادية فان قانون اقراض الموظفين مبالغ تسدد على سنوات لشراء شقق انما يصب في هذا الاتجاه الذي يفتح بابا جديدا امام هذه المؤسسات لاستثمار رساميلها في قطاع البناء والتحكم في الاسعار وبدلات الايجار .

■ دعم التعامل مع الصهاينة

ان المؤامرة التي استهدفت ضرب المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية وخلق مناخ ملائم لتمرير التسوية الاستسلامية مع العدو الصهيوني ، ما زالت مستمرة حتى الان ، ويلعب النظام اللبناني دورا اساسيا فيها عبر تأييده المباشر او غير المباشر لاشكال التعامل مع الكيان الصهيوني .

فانعزاليو الجنوب الذين اقاموا بوابات مفتوحة مع آلصهاينة ما زالوا يجدون في السلطة غطاء لهم بل سندا ماديا حتى . والنظام لم يقبل التخلي عنهم بل هو ساهم في تشجيعهم حين لم يتخذ موقفا ضد تعاملهم مع « اسرائيل » حتى حين ارسل قواته الى الجنوب وقصفها هؤلاء .

وكون الساحة اللبنانية المتنفس العلني الاخير للمقاومة الفلسطينية فان الجهود التسووية تنصب على اخضاع هذه الساحة لهيمنة القوى القابلة ونزع سلاح المقاومة والحركة الوطنية وهو ما يصبو النظام اللبناني الى القيام به .

ان الجواب على عنوان هذا المقال يمكننا تلخيصه بكلمات ثلاث تفسر التوجه الاقتصادي والسياسي لسركيس : غلاء وانحيازا للانعزاليين .

التقرير الاسبوعي من الجنوب :

قصف يومي انعزالي - صهيوني للمناطق الوطنية
القوات الدولية تخضع لابتزاز الميليشيات
تحركات صهيونية كثيفة على طول الحدود

١٢ - ٩ - ٧٨

. تعرضت منطقة النبطية ولليوم السادس منذ انعقاد مؤتمر كامب ديفيد لقصف مدفعي عنيف سقطت خلاله حوالي ٣٠ قذيفة من مدفعية الميدان الثقيلة في النبطية وكفر رمان والكفور والشرقية ، وقد ردت القوات المشتركة بقصف بلدة القليعة حيث تتمركز قوات سعد حداد .

وقد اسفر قصف النبطية عن استشهاد اثنين من المواطنين وجرح خمسة اخرين . وقد بدأ القصف في العاشرة والنصف ليلا واستمر حتى ساعات الفجر الاولى . وقد خفت حركة السير في النبطية واقفلت معظم محلاتها التجارية فيما شكا الاهالي من ان المراقبين الدوليين في قلعة الشقيف لم يقوموا حتى الان بأي خطوة لحماية المواطنين ، كما ان اي لجنة لم تتقدم للكشف على الاضرار رغم استمرار القصف منذ ايام . وهذا القصف هو الثالث من نوعه خلال ١٠ ساعات .

١٣ - ٩ - ٧٨

خففت القوات الدولية من عدد عناصرها في منطقة شبعا فنقلت ثلثي المجموعة الى ابل السقي والهرماس . واكثر من ذلك فقد قامت القوات النروجية بسحب مركز تجمع لقواتها من منطقة بيادر شبعا وهذا المركز الذي يضم ١٠ خيم و ١٠٠ جندي كان يعتبر الفاصل الرئيسي بين واقع الصهيونية في تلال شبعا وبين البلدة . وبزوال هذا المركز اصبحت الطريق التي شقتها القوات الصهيونية من مواقعها الى داخل شبعا خالية من اي مواقع دولية باستثناء حاجز وكمين من اربع عناصر فقط في منطقة البيادر .

وقد طرح ابناء البلدة علامات استفهام لانه في الوقت الذي خففت فيه القوات النروجية من تواجدها في مدخل شبعا الشرقي حيث توجد القوات « الاسرائيلية » كثفت من وجودها عند مدخل البلدة الغربي على الطريق الممتد من حاصبيا ، واقامت على هذا المدخل حاجزا مزودا بأسلحة رشاشة ثقيلة ، كما اقامت على المرتفعات المحيطة به مواقع عسكرية مزودة بمدافع هاون ، ومركزا للمراقبة .

١٤ - ٨ - ٧٨

تعرض القطاع الشرقي طوال ليل امس لقصف مدفعي هو الاعنف منذ الاجتياح الاسرائيلي للجنوب ، استمر حتى الساعات الاولى من صباح امس . وكانت قد اطلقت رشقات نارية من مرجعيون قيل في البداية انها لمناسبة عيد الصليب . ولكن علم في ما بعد ان رشقات عدة اطلقت من تلة الشعيرة باتجاه المواقع النروجية في الخريبة وراشيا الفخار وذلك حوالي الساعة السابعة مساء وبعد ذلك بربع ساعة اطلقت قوات حداد قنابل مضيئة فوق منطقة بلاط ، بدأت على اثرها المدفعية الاسرائيلية من عيار ١٥٥ و ١٧٥ ملم المتمركزة في العباسية وابل القمح ، بقصف متقطع امتد الى منطقة النبطية وضواحيها وعاد ليشمل منطقة قليا في البقاع الغربي ومنطقة برغز والحاصباني وسقطت ٥ قذائف في منطقة الكازينو وبجوار بلدة كوكبا .

وشاركت بالقصف مدفعية حداد المتمركزة في مرجعيون والقليعة والخيام فقصفت مجددا وفي العاشرة والنصف الحاصباني وبرغز وجوار كوكبا وقد استنفرت قوات الجيش في كوكبا خلال ساعات القصف واتخذت الاحتياطات اللازمة .

وافادت الانباء ان النبطية تعرضت في العاشرة والنصف ليلا الى قصف مدفعي متقطع مصدره مرجعيون ، وسقطت قذائف عدة من عيار ١٥٥ ملم في ضواحي مدينة النبطية وفي احيائها الداخلية .

واستؤنف القصف في الحادية عشرة والنصف ، واستهدف حي البياضه والمسلخ ومفرق حبوش ، وبلدة كفر رمان ، كما سقطت قذائف عدة في الجرمق والعيشية مما ادى الى انقطاع التيار الكهربائي والى اضرار في المزارع ولم تحدث اصابات في الارواح .

وقد ردت مدفعية القوات المشتركة على مصادر النيران .

ومن جهة اخرى حصل ظهر امس اشتباك بين قوات آلطوارىء وجماعة سعد حداد تبودلت فيه كافة انواع الاسلحة الخفيفة والثقيلة وشوهدت ألسنة الحرائق وسحب الدخان في سماء مرجعيون .

وافاد سكان القرى الحدودية في العرقوب ان تحركات اسرائيلية غير عادية تشاهد على طول الحدود وتقوم السيارات العسكرية والدبابات بأعمال الدورية على الطرقات الواقعة شرق العرقوب التي تشمل منطقة الماري وحتى تلال شبعا حيث شوهدت في التاسعة والنصف من صباح امس آليات عسكرية تدخل تلك التلال .

كما شوهدت تحركات اسرائيلية مؤللة في رويسات خداق ورويسات العلم في منطقة شبعا . ويذكر ان القوات النروجية اخلت امس الاول مراكزها في شبعا .

وفي نفس الوقت اصدر الخائن سعد حداد « امرا عاما » الى مواطني القطاع دعاهم فيه الى الحصول على « بطاقات هوية جديدة تكون وسيلة التعرف الرسمية الوحيدة المعمول بها ضمن القطاع وتكون ضرورية للمرور على الحواجز داخل القطاع ، وتحل مكان التصاريح للدخول الى اسرائيل لمدة لا تتجاوز ثلاثة ايام » .

١٥ - ٩ - ٧٨

التحركات « الاسرائيلية » الكثيفة التي لوحظت على طول الحدود الجنوبية اعادت جو التوتر والقلق ، وقد افادت مصادر عسكرية ان المدرعات الصهيونية قد كثفت هذا اليوم اكثر منها في اي يوم مضى ، دورياتها على طول الشريط الحدودي .

اما الميليشيات الانعزالية فقد اقفلت مجددا طريق ابل السقي - مرجعيون عند مفترق الخيام ، وابلغت القوات الدولية انها لن تسمح لها باستعمال هذه الطريق في تحركاتها وطلبت منها سلوك طريق مفترق ابل السقي - بلاط الترابية . وعلم ايضا ان الانعزاليين ابلغوا القوات الدولية عدم السماح لها بالتمركز في مرجعيون او الخيام او اي موقع تحت سيطرتهم .

١٦ - ٩ - ٧٨

سقطت اكثر من ١٥ قذيفة مدفعية في القطاع الشرقي مصدرها المواقع الصهيونية المحاذية لتلة النحاس . وفي الوقت نفسه تعرضت قوات الطوارىء الدولية المتمركزة قرب ابل السقي لنيران الرشاشات التي اطلقتها الميليشيات الانعزالية ، وتوقف اطلاق النار بعد اكثر من عشر دقائق . هذا وقد لاحظ المراقبون زيادة التحركات العسكرية